ملخص سير الى الله تعالى سير الى قائم آل محمد صلوات وسلام عليه - الحلقة 18 / عبد الحليم الغزّي

السياسة العلوية ما بين سياسة مُرّ الحقّ وسياسة الواقع ج1

الاحد : 18/شهر رمضان/1447هـ - الموافق 8/3/2026م

"السِّياسَةُ"؛ هٰذَا العُنوَانُ يَرتَبِطُ ارتِبَاطاً مُبَاشِراً فِي طَرِيقِ السَّيرِ إِلَىٰ قَائِمِ آلِ مُحَمَّد الَّذي هُوَ سَيرٌ إِلَىٰ اللَّه تَعَالَىٰ، لا نَستَطِيعُ أَن نُفَكِّكَ فِيمَا بَينَ السِّيَاسَةِ وَالدِّين، فَالسِّيَاسَةُ شَأنٌ مُهِمٌ جِدّاً من شُؤُونِ دِينِنَا، لَابُدَّ أَن نُتَابِعَ الشُّؤُونَ السِّيَاسِيَّة، وَلَابُدَّ أَن تَقَعَ فِي طَرِيقِنَا، قَد يَكُونُ وُقُوعُهَا فِي طَرِيقِنَا بِنَحوٍ إِيجَابِي، وَقَد يَكُونُ وُقُوعُهَا فِي طَرِيقِنَا بِنَحوٍ سَلبِي، لِأَنَّنَا لَن نَستَطِيعَ أَن نُنَفِّذَ بَرنَامَجَ خِدمَتِنَا لِلتَّمهِيدِ لِلمَشرُوعِ المَهدَوِيِّ الأَعظَمِ مَا لَم نَكُن عَلَى وَعيٍ سِيَاسِي، وَمَعرِفَةٍ سِيَاسِيَّةٍ دَقِيقَةٍ كَي نَضَعَ أَقدَامَنَا فِي المَوضِعِ الصَّحِيح، وَإِلَّا فَإِنَّهُ التِّيهُ مِثلَمَا هُوَ وَاقِعُ الشِّيعَةِ فِي مُختَلَفِ أَنحَاءِ العَالَم، حَالَةٌ مِنَ التِّيهِ الَّذِي هُوَ أَضعَافُ تِيهِ بَنِي إِسرَائِيلَ كَمَا وَصَفَهُ سَيِّدُ الأَوصِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيه، وَلِذَا فَعَلَى السَّائِرِ فِي طَرِيقِ السَّيرِ إِلَىٰ قَائِمِ آلِ مُحَمَّد صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيه لَابُدَّ أَن يَكُونَ عَلَى مَعرِفَةٍ دَقِيقَةٍ بِالأَوضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ العَالَمِيَّة، وَبِالأَوضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تَرتَبِطُ بِمَنطَقَةِ الظُّهُور.

مَجمُوعَةُ نُقَاطٍ أَثبَتُّهَا عَلَى الوَرَقَةِ كَي لَا أَتَشَعَّبَ فِي الحَدِيثِ كَثِيراً.

- **النُّقطَةُ الأُولَىٰ إِشَارَةٌ إِجمَالِيَّةٌ إِلَى السِّيَاسَةِ زَمَانَ رَسُولِ اللَّه وَزَمَانَ أَمِيرِ المُؤمِنِين:**

فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآلِه الوَاقِعُ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِيه نَبِيُّنَا الأَعظَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآلِه لَم يَكُن كَوَاقِعِنَا اليَومَ بِهٰذَا التَّعقِيد، كَانَ وَاقِعاً بَسِيطاً بِالقِيَاسِ إِلَىٰ الأَوضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ فِي زَمَانِنَا اليَوم، وَفِي زَمَانِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآلِه لَم تَكُن هُنَاكَ دَولَةٌ عِندَ المُسلِمِينَ كَحَالِ الدُّوَلِ فِي أَيَّامِنَا، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآلِه يَحكُمُ عَلَى مَجمُوعَةِ القَبَائِلِ الَّتِي دَخَلَت الإِسلَام، فَكَانَ حُكماً تَنظِيمِياً، يَغلِبُ عَلَيه التَّنظِيمُ الاِجتِمَاعِي، وَتَطغَى فِيهِ الأَعرَافُ الَّتِي كَانَت سَائِدَةً فِي أَجوَاءِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّة، لَكِن لَيسَ كَالأَنظِمَةِ المُعَقَّدَةِ وَالشَّدِيدَةِ التَّعقِيدِ فِي زَمَانِنَا اليَوم.

سِيَاسَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآلِه فِيهَا جِهَتَان:

هُنَاكَ السِّيَاسَةُ النَّبَوِيَّةُ المَحضَة؛ إِنَّهَا سِيَاسَةُ الأَنبِيَاءِ سِيَاسَةُ اللَّه؛ (**مُرّ الحَقّ**) فَكَانَت السِّيَاسَةُ زَمَانَ رَسُولِ اللَّه مَا بَينَ السِّيَاسَةِ الَّتِي هِيَ سِيَاسَةُ مُرِّ الحَقّ السِّيَاسَةُ النَّبَوِيَّةُ المَحضَة فِي بَعضِ الجِهَات، **وَلٰكِن فِي جِهَاتٍ أُخرَىٰ**؛ كَانَ النَّبِيُّ يَتَمَاشَى مَعَ الوَاقِعِ بِالحِكمَةِ العَمَلِيَّةِ الَّتِي كَانَت تَتَنَاسَبُ مَعَ مُجرَيَاتِ الحَيَاةِ فِي ذٰلِكَ الزَّمَان، هٰذِه السِّيَاسَةُ الَّتِي قَد يُقَالُ لَهَا السِّيَاسَةُ الوَاقِعِيَّة وَلَيسَت لَهَا مِن حُدُودٍ ثَابِتَة، إِنَّمَا تَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ الوَاقِعِ مَا بَينَ زَمَانٍ وَآخَر، يُمكِنُنَا أَن نَصِفَهَا بِالسِّيَاسَةِ العَقلَانِيَّة، وَالَّتِي تَستَنِدُ إِلَىٰ تَرَاكُمِ التَّجَارِبِ العَمَلِيَّةِ بِحَسَبِ الوَاقِعِ الَّذِي تَتَحَرَّكُ فِيه تِلكَ السِّيَاسَة.

فِي زَمَانِ نَبِيِّنَا الأَمرُ كَانَ هٰكَذَا؛ وَخَالَفَ نَهجَ خُلَفَاءِ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَة، هٰؤُلَاءِ نَهجُهُم يَختَلِفُ بِالكَامِلِ عَن نَهجِ النَّبِيِّ - أَتَحَدَّثُ عَن أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمَان - وَابتَعَدُوا ابتِعَاداً شَاسِعاً عَن مَنهَجِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآلِه، حِينَ صَارَتِ الخِلَافَةُ لِسَيِّدِ الأَوصِيَاءِ عَادَ إِلَىٰ مَنهَجِ رَسُولِ اللَّه، فَكَانَت سِيَاسَتُهُ سِيَاسَةَ مُرِّ الحَقّ فِي الجِهَاتِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ ذٰلِك، وَلٰكِن فِي أَحيَانٍ كَثِيرَةٍ كَانَ الإِمَامُ يَسُوسُ الأَمرَ بِسِيَاسَةِ الوَاقِع، مِثلَمَا كَانَ يَفعَلُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآلِه، هٰذِه الحَقِيقَةُ مِن أَنَّ سِيَاسَةَ رَسُولِ اللَّه الَّتِي هِيَ هِيَ بِنَفسِهَا سِيَاسَةُ أَمِيرِ المُؤمِنِين كَانَت تَتَحَرَّكُ فِي اتِّجَاهَين: فِي اتِّجَاهِ سِيَاسَةِ مُرِّ الحَقّ، وَفِي اتِّجَاهِ سِيَاسَةِ الوَاقِعِ بِحَسَبِ الظُّرُوفِ المَوضُوعِيَة.

إِذَا مَا ظَهَرَ إِمَامُ زَمَانِنَا صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلَامُهُ عَلَيه فَإِنَّ سِيَاسَتَهُ سَتَكُونُ سِيَاسَةَ مُرِّ الحَقّ، رُبَّمَا فِي بَادِئِ الأَمرِ قَبلَ أَن يَستَقِرَّ الحُكمُ القَائِمِيّ قَد يَحتَاجُ إِلَىٰ سِيَاسَةِ الوَاقِع، وَلٰكِن إِذَا استَقَرَّ أَمرُهُ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيه وَنَشَأَت الدَّولَةُ المَهدَوِيَّةُ العَالَمِيَّة فَحِينَئِذٍ لَا وُجُودَ لِسِيَاسَةِ الوَاقِعِ إِنَّهَا سِيَاسَةُ مُرِّ الحَقّ، قَطعاً السِّيَاسَةُ فِي عَصرِ الرَّجعَةِ سَتَتَّخِذُ مَنحًى يَكُونُ أَرقَى بِكَثِيرٍ مِن مَنحَاهَا فِي زَمَنِ العَصرِ القَائِمِيِّ الأَوَّل، لِأَنَّ الحَيَاةَ سَتَتَغَيَّر، وَسَيَستَمِرُّ هٰذَا التَّغَيُّرُ حَتَّى نَصِلَ إِلَى الدَّولَةِ المُحَمَّدِيَّةِ العُظمَىٰ فِي آخِرِ عَصرِ الرَّجعَةِ العَظِيمَة، وَهُنَاكَ سَتَكُونُ السِّيَاسَةُ مُختَلِفَةً جِدّاً، مَا كَانَ مِن بِعثَةٍ فِي القُرُونِ المُتَقَدِّمَةِ كَانَت تِلكَ البِعثَةُ مُقَدِّمَةً، وَكَانَت تَمهِيداً ، فَالبِعثَةُ النَّبَوِيَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ سَتَكُونُ فِي آخِرِ عَصرِ الرَّجعَةِ العَظِيمَة، هٰذِه عَقِيدَةُ العِترَةِ الطَّاهِرَة.

النُّقطَةُ الثَّانِيَة: مَا يَرتَبِطُ بِالمَذهَبِ الطُّوسِي.

المَذهَبُ الطُّوسِيّ لَا شَأنَ لَهُ بِالسِّيَاسَةِ لَا مِن قَرِيبٍ وَلَا مِن بَعِيد، أَسَاساً أَسَّسَهُ العَبَّاسِيُّون لِأَجلِ إِبعَادِ الشِّيعَةِ عَنِ الأَجوَاءِ السِّيَاسِيَّة، العَبَّاسِيُّونَ هُمُ الَّذِينَ اختَارُوا مَذهَبَ أَبِي حَنِيفَة، وَمَذهَبَ مَالِك، وَمَذهَبَ الشَّافِعِي، وَالمَذهَبَ الحَنبَلِي، وَقَدَّمُوا الأَموَالَ لَهُم، وَبَنَوا لَهُمُ المَدَارِس، وَأَنشَأُوا لَهُمُ الأَوقَاف، وَنَشَرُوا كُتُبَهُم، وَوَفَّرُوا لَهُمُ الحِمَايَةَ الحُكُومِيَّةَ وَالأَمنِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّة، فَسَيطَرَ العَبَّاسِيُّونَ عَلَى أَبنَاءِ العَامَّة، فَحِينَمَا قَامَ العَبَّاسِيُّونَ بِانتِقَاءِ هٰذِهِ المَذَاهِبِ سَيطَرُوا عَلَى الوَاقِعِ الَّذِي سُمِّيَ بَعدَ ذٰلِكَ؛ (**بِالوَاقِعِ السُّنِّي**).

إِذَا نَظَرنَا إِلَى المَذهَبِ الحَنَفِي فَهُوَ المَذهَبُ المُتَبَنَّى رَسمِياً فِي دَوَائِرِ الدُّوَلِ الإِسلَامِيَّة، لِأَنَّ العُثمَانِيِّينَ هُمُ الَّذِينَ اختَارُوا هٰذَا المَذهَب، وَهُمُ الَّذِينَ وَضَعُوا هٰذَا اللَّقَبَ لِأَبِي حَنِيفَة؛ (**مِن أَنَّهُ الإِمَامُ الأَعظَم**) وَالحِكَايَةُ سِيَاسِيَّة؛ لِأَنَّ المَعرُوفَ بَينَ كُلِّ المَذَاهِب؛ "**مِن أَنَّ خَلِيفَةَ المُسلِمِين لَابُدَّ أَن يَكُونَ قُرَشِيّاً**"، سَلَاطِينُ بَنِي عُثمَانَ أَرَادُوا أَن يَقُولُوا مِن أَنَّنَا خُلَفَاءُ رَسُولِ اللَّه، وَهُم لَيسُوا مِن قُرَيش، وَجَدُوا قَولاً لِأَبِي حَنِيفَة أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ يَقُول: (**مِن أَنَّ خَلِيفَةَ المُسلِمِين لَا يُشتَرَطُ فِيه أَن يَكُونَ قُرَشِيّاً**) فَعَظَّمُوا أَبَا حَنِيفَة وَقَالُوا هُوَ الإِمَامُ الأَعظَم، وَجَعَلُوا مَذهَبَهُ المَذهَبَ الرَّسمِيَّ فِي كُلِّ بِلَادِ المُسلِمِين، مَعَ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ أَيضاً يَقُولُ فِي قَولٍ آخَر وَأَقوَالُ أَبِي حَنِيفَةَ كَثِيرَةٌ: (مِن أَنَّهُ يَشتَرِطُ القُرَشِيَّةَ فِي خَلِيفَةِ المُسلِمِين) فَالعَبَّاسِيُّونَ أَسَّسُوا المَذَاهِبَ السُّنِّيَّةَ كَي يَتَخَلَّصُوا مِنَ الخِلَافَاتِ المَوجُودَةِ بَينَ أَبنَاءِ الجَمَاعَة.

أَمَّا الشِّيعَةُ؛ فَمُشكِلَةُ العَبَّاسِيِّينَ مَعَ العَلَوِيِّينَ أَوَّلاً، فَمَاذَا صَنَعُوا لَهُم؟ صَنَعُوا لَهُم نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّين، أَعطَوهُم حُكماً ذَاتِيّاً، يُنتَخَبُ أَحَدُ الطَّالِبِيِّين فَيَكُونُ حَاكِماً عَلَى الطَّالِبِيِّين، فَنَقَلُوا الصِّرَاعَ مِن صِرَاعِ الطَّالِبِيِّينَ مَعَ السُّلطَةِ العَبَّاسِيَّة، إِلَى الصِّرَاعِ فِيمَا بَينَهُم عَلَى هٰذَا المَنصَب، وَتَخَلَّصُوا مِنَ الطَّالِبِيِّينَ بِنَحوٍ عَامّ، وَمِن

العَلَوِيِّينَ بِنَحوٍ خَاص، خَدَعُوا الطَّالِبِيِّينَ بِإعطَاء مَنصبِ عَالٍ لِزَعِيمِ الطَّالِبِيِّين بِمَثَابَةِ وَزِيرٍ وَلَهُ مَرتَبَةٌ عَالِيَةٌ عِندَ الحُكُومَة، يُمنَحُ القُصُورَ وَالأَموَالَ وَالحِمَايَات، وَيُمنَحُ قُوَّةً عَسكَرِيَّةً تَحتَ إِمرَتِه، وَهُوَ الَّذِي يُنَفِّذُ الأَحكَامَ فِي كُلِّ شُؤُونِ حَيَاةِ الطَّالِبِيِّين، الحُكُومَةُ العَبَّاسِيَّةُ لَا تَتَدَخَّلُ فِي شُؤُونِ الطَّالِبِيِّين، جَعَلَت الأَمرَ بِيَدِ نَقِيبِ الطَّالِبِيِّين، فَتَخَلَّصُوا مِنَ المُعَارَضَةِ العَلَوِيَّةِ بِنَحوٍ خَاص، وَالمُعَارَضَةِ الطَّالِبِيَّةِ بِنَحوٍ عَامّ.

الشِّيعَةُ؛ الحُكُومَةُ العَبَّاسِيَّةُ لَا تَستَطِيعُ أَن تَصنَعَ لَهُم مَذهَباً كَالمَذَاهِبِ السُّنِّيَّةِ الأَربَعَة، لَابُدَّ مِن مُخَطَّطٍ كَي يُخرِجُوا الشِّيعَةَ مِنَ السَّاحَةِ السِّيَاسِيَّة، فَكَانَت تِلكَ اللُّعبَة؛ مَا بَينَ العَبَّاسِيِّين، وَالسَّلَاجِقَة، وَالطُّوسِيِّ الَّذِي أَسَّسَ المَذهَبَ الطُّوسِيّ.

وَالِدُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ كَانَ نَقِيباً لِلطَّالِبِيِّين، لَمَّا مَاتَ صَارَ مِن بَعدِه الشَّرِيفُ الرَّضِيّ نَقِيباً لِلطَّالِبِيِّين، بَعدَ مَوتِ الشَّرِيفِ الرَّضِيّ صَارَت النِّقَابَةُ لِأَخِيهِ الشَّرِيفِ المُرتَضَى، وَالَّذِي كَانَ مَرجِعاً لِلشِّيعَةِ وَكَانَ نَقِيباً لِلطَّالِبِيِّينَ فِي الوَقتِ نَفسِه، وَهُوَ الَّذِي أَوجَدَ العَلَاقَةَ الوَثِيقَةَ مَا بَينَ الطُّوسِيِّ وَالعَبَّاسِيِّين، بَعدَ مَوتِ الشَّرِيفِ المُرتَضَى صَارَتِ المَرجِعِيَّةُ لِلطُّوسِيِّ وَصَارَتِ النِّقَابَةُ لِعَدنَانَ ابنِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، وَكَانَت هُنَاكَ عَلَاقَةٌ وَثِيقَةٌ بَينَ الطُّوسِيِّ وَعَدنَان، وَتَرَتَّبَ هٰذَا البَرنَامَج؛ مِن أَنَّ السَّلَاجِقَةَ يَهجُمُونَ عَلَى بَيتِ الطُّوسِيِّ وَيُحرِقُونَ المَكتَبَاتِ الشِّيعِيَّةِ وَالطُّوسِيِّ يَفِرُّ إِلَى النَّجَفِ وَيُؤَسِّسُ حَوزَتَهُ وَيُؤَسِّسُ مَذهَبَهُ هُنَاك، وَبَعدَ أَن أُحرِقَت الكُتُبُ الشِّيعِيَّةُ وَأَعَادَ الطُّوسِيِّ كِتَابَتَهَا وِفقاً لِمَا يُرِيد، وَهُنَا حَدَثَ التَّحرِيفُ الأَكبَرُ فِي الكُتُبِ الشِّيعِيَّة، هُنَا عَبَثَ الطُّوسِيُّونَ بِالكُتُبِ الشِّيعِيَّة، لِأَنَّ المَكتَبَاتِ الشِّيعِيَّةِ أُحرِقَت فِي بَغدَاد مِن دُونِ سَبَب، عِبرَ هٰذَا الزَّمَن لَم تَتَعَرَّض الحُكُومَةُ العَبَّاسِيَّةُ لِلشِّيعَة، لِأَنَّ الشِّيعَةَ اتَّبَعُوا مَذهَباً عَبَّاسِياً.

مُشكِلَتُنَا بَدَأَت حِينَمَا تَسَرَّبَ إِلَى الوَاقِعِ الشِّيعِيِّ المَنهَجُ القُطبِيُّ اللَّعِين، حَسَنُ البَنَّا لَعَنَهُ اللَّه عَلَيه أَسَّسَ جَمَاعَةَ الإِخوَان سَنَةَ (1928) لِلميلَاد، المَنهَجُ الَّذِي عَلَيهِ الإِخوَانُ وَالَّذِي وَضَعَهُ حَسَنُ البَنَّا تَعَقَّدَ أَكثَرَ حِينَمَا تَصَدَّى لِلتَّنظِيرِ لِلإِخوَان سَيِّدُ قُطب، فَصَارَ المَنهَجُ أَكثَرَ إِجرَاماً، وَأَكثَرَ بَشَاعَةً، وَأَكثَرَ إِرهَاباً، ثُمَّ صَارَ هٰذَا المَنهَجُ يُفَرِّخُ المَجمُوعَاتِ الإِرهَابِيَّة.

الأَمرُ هُوَ هُوَ مَعَ الشِّيعَةِ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى هٰذَا المَنهَج، إِيرَان نَجَحَت فِي الجَانِبِ الَّذِي انتَفَعَت فِيه مِنَ التَّجرِبَةِ الغَربِيَّة، وَلَكِنَّهَا فَشَلَت ذَرِيعاً فِي الجَانِبِ الَّذِي اتَّبَعَت فِيه المَنهَجَ القُطبِيّ، نَفسُ الشَّيءِ الأَحزَابُ الشِّيعِيَّةُ فِي العِرَاق، حِزبُ اللَّه فِي لُبنَان، قَادَةُ حِزبِ اللَّه فِي لُبنَان هُم قُطبِيُّون، وَثَقَافَتُهُم ثَقَافَةٌ قُطبِيَّة، نَجَحُوا فِي التَّجرِبَةِ الَّتِي عَمِلُوا بِهَا وِفقاً لِلسِّيَاقَاتِ الغَربِيَّة، وَفَشِلُوا فَشَلاً ذَرِيعاً حِينَمَا عَمِلُوا وِفقاً لِلمَنهَجِ القُطبِيِّ اللَّعِين.

أَبرَزُ سِمَاتِ المَنهَجِ القُطبِيِّ اللَّعِين؛ العَمَلُ المُسَلَّح بِتَفَارِيعِه، وَعَدَمُ احتِرَامِ خُصُوصِيَّةِ الآخَرِين، لِذَا يَتَدَخَّلُونَ فِي شُؤُونِ الآخَرِين، فَمَا كَانَ مِن فَشَلٍ فِي الوَضعِ السِّيَاسِيِّ الشِّيعِيِّ مُنذُ خَمسِينَاتِ القَرنِ المَاضِي، حِينَمَا تَسَرَّبَ الفِكرُ القُطبِيُّ الى شِيعَةِ الخَلِيج، إِلَى شِيعَةِ لُبنَان، إِلَى شِيعَةِ العِرَاق، إِلَى شِيعَةِ إِيرَان، إِلَى شِيعَةِ بَاكِستَان، بَدَأَ الفَشَلُ يَتَوَالَى فِي الأَجوَاءِ الشِّيعِيَّةِ وَإِلَى يَومِكَ هٰذَا، وَمَا يَجرِي الآنَ فِي إِيرَان هُوَ مِن نَتَائِجِ هٰذَا المَنهَجِ القُطبِيِّ القَذِر، لَيسَ كُلُّ المَسؤُولِينَ فِي إِيرَان عَلَى هٰذَا المَنهَج، لٰكِنَّ الَّذِينَ بِيَدِهِم الحَلُّ وَالعَقدِ عَلَى هٰذَا المَنهَج، وَقَد لَا يَعلَمُون، يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ المَوقِفَ الشَّرعِيَّ بِحَسَبِ دِينِ العِترَةِ هُوَ هٰذَا، لِأَنَّ المَذهَبَ الطُّوسِيَّ هُوَ الَّذِي يُعَدُّ فِي إِيرَانَ أَو فِي العِرَاق يُعَدُّ مَذهَباً لِأَهلِ البَيت، وَالشِّيعَةُ فِي النَّجَفِ أَو فِي قُمّ أَو فِي كَربَلَاء تَسَرَّبَ إِلَيهِم الفِكرُ القُطبِيُّ بِحَيثُ صَارَ جُزءاً مِن دِينِهِم، وَجُزءاً مِن ثَقَافَتِهِم، وَجُزءاً مِن كِيَانِهِم السِّيَاسِيِّ وَالاِجتِمَاعِيّ.

- **نُقطَةٌ أُخرَىٰ لَابُدَّ أَن أُشِيرَ إِلَيهَا وَقَد تَحَدَّثتُ عَنهَا أَيضاً فِي بَرَامِجِي السَّابِقَة:**

إِذَا مَا نَشَأَت دَولَةٌ شِيعِيَّةٌ زَمَانَ الغَيبَةِ وَظِيفَتُهَا الأُولَىٰ وَالأَخِيرَة التَّمهِيدُ لِلمَشرُوعِ المَهدَوِيِّ الأَعظَم، وَلَابُدَّ أَن يَكُونَ ذٰلِكَ تَحتَ خَيمَةِ المُسَالَمَة، وَلَيسَ فِي مَنهَجِ المُقَاوَمَةِ القُطبِيَّةِ القَذِرَةِ الَّتِي لَا تَعُودُ عَلَى الشِّيعَةِ إِلَّا بِالفَشَلِ وَالخَيبَةِ وَالانكِسَار، الدَّولَةُ الشِّيعِيَّةُ إِذَا مَا نَشَأَت فِي زَمَانِ الغَيبَةِ عَلَيهَا أَن تَكُونَ مُنضَبِطَةً دَاخِلَ حُدُودِهَا، لَا شَأنَ لَهَا بِالآخَرِين، وَانظُرُوا إِلَى دَولَةِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ لَم يَتَحَرَّك خُطوَةً وَاحِدَةً خَارِجَ الحُدُود، مِن أَوَّلِ يَومٍ مِن أَيَّامِ حُكمِه إِلَى يَومِ استِشهَادِه، وَاستَمَرَّ الإِمَامُ الحَسَنُ عَلَى المَنهَجِ نَفسِه فِي الفَترَةِ القَلِيلَةِ الَّتِي صَارَ فِيهَا حَاكِماً مِن بَعدِه، الدَّولَةُ الشِّيعِيَّةُ زَمَانَ الغَيبَةِ عَلَيهَا أَن تَكُونَ سِيَاسَتُهَا فِي عَلَاقَاتِهَا الخَارِجِيَّةِ بَرَاغمَاتِيَّة، لِأَنَّ السِّيَاسَةَ البَرَاغمَاتِيَّةَ هِيَ السِّيَاسَةُ الَّتِي تَتَحَرَّكُ فِي كُلِّ أَنحَاءِ العَالَم، وَالسِّيَاسَةُ البَرَاغمَاتِيَّةُ مَرِنَةٌ إِلَى أَبعَدِ الحُدُود، المَنهَجُ البَرَاغمَاتِيُّ مَطَّاطٌ لَيسَ بِالضَّرُورَةِ أَن نَذهَبَ إِلَى أَبعَدِ حُدُودِ مَرُونَةِ البَرَاغمَاتِيَّة، **أَمَّا النِّظَامُ الدَّاخِلِيُّ لِهٰذِهِ الدَّولَة**؛ فَسَيَكُونُ كَسِيَاسَةِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ مَا بَينَ سِيَاسَةِ مُرّ الحَقّ بِحَسَبِ مَا يُمكِنُ أَن يَكُونَ ذٰلِك، وَمَا بَينَ سِيَاسَةِ الوَاقِع، **وَأَمَّا فِي الجِهَاتِ الأُخرَىٰ مِن حَيَاةِ النَّاس**؛ فَلَابُدَّ مِن مُرَاعَاةِ الظُّرُوفِ المَوضُوعِيَّةِ الَّتِي تَحكُمُ الوَاقِع، **أَمَّا النِّظَامُ الدَّاخِلِيّ**؛ فَيَكُونُ مَا بَينَ سِيَاسَةِ مُرِّ الحَقّ وَسِيَاسَةِ الوَاقِع، الوَاقِعُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ مُحَافِظاً عَلَى حُرِّيَّةِ النَّاسِ وَسَلَامَةِ التَّعَايُشِ الاِجتِمَاعِيِّ مَعَ مُستَوىً مِن رَفَاهِيَةِ العَيشِ بِحُدُودِ الإِمكَانَاتِ الاِقتِصَادِيَّةِ لِتِلكَ الدَّولَة، وَهٰذَا هُوَ الَّذِي فَعَلَهُ أَمِيرُ المُؤمِنِين.

لَقَطَاتٌ سَرِيعَةٌ مِن كَلِمَاتِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ فِي (نَهجِ البَلَاغَةِ الشَّرِيف):

مِنَ الصَّفحَةِ الثَّالِثَةِ وَالثَّلَاثِينَ بَعدَ المِئَتَين: (**وَاللَّه مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدهَىٰ مِنِّي** - سِيَاسَةُ مُعَاوِيَةَ كَانَت عَلَى نَحوَين، كَانَ بَرَاغمَاتِياً إِلَى أَبعَدِ الحُدُود، وَفِي الخَفَاءِ بَعِيداً عَن أَنظَارِ النَّاس؛ كَانَ يَتَّبِعُ المَنهَجَ المِيكَافِيلِيّ، مِثلَمَا يُصطَلَحُ عَلَيهِ فِي زَمَانِنَا، وَهُوَ؛ (**أَنَّ الغَايَةَ تُبَرِّرُ الوَسِيلَة**) - **وَلٰكِنَّهُ يَغدِرُ وَيَفجُر، وَلَولَا كَرَاهِيَةُ الغَدرِ لَكُنتُ مِن أَدهَى النَّاس، وَلٰكِن كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَة، وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَة، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعرَفُ بِهِ يَومَ القِيَامَة، وَاللَّه مَا أُستَغفَلُ بِالمَكِيدَة** - أَنَا لَا أَخدَع - **وَلَا أُستَغمَزُ بِالشَّدِيدَة**) وَلَا أَكُونُ ضَعِيفاً أَمَامَ القُوَّة.

الخُطبَةِ المَعرُوفَةِ بِالخُطبَةِ الشِّقشِقِيَّة، سَيِّدُ الأَوصِيَاء يَقُول: (**أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَولَا حُضُورُ الحَاضِرِ وَقِيَامُ الحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَن لَا يُقَارُّوا عَلَىٰ كِظَّةِ ظَالِم** - كِظَّةُ الظَّالِم إِنَّهَا الحَالَةُ الَّتِي تَجرِي عَلَيهِ بَعدَ أَن يَكُونَ مُتخَماً - **وَلَا سَغَبِ مَظلُوم** - السَّغَبُ هُوَ الجُوع، وَلَيسَ الكَلَامُ عَنِ التُّخمَةِ وَالجُوعِ فَقَط، وَإِنَّمَا كِنَايَةٌ عَن ظُلمِ الظَّالِمِين وَمَا يَتَمَتَّعُونَ بِه، وَعَن مُعَانَاةِ المَظلُومِين - **لَأَلقَيتُ حَبلَهَا عَلَىٰ غَارِبِهَا** - فَأَترُكُهَا تَتَحَرَّكُ كَيفَمَا تَشَاء مِن دُونِ أَن أَتَحَكَّمَ بِهَا، لِأَنَّنِي لَا أُبَالِي بِهَا فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ تَحرَكَت - **وَلَسَقَيتُ آخِرَهَا بِكَأسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلفَيتُم دُنيَاكُم هٰذِهِ أَزهَدَ عِندِي مِن عَفطَةِ عَنز**) النَّخَامَةُ وَالمُخَاطُ الَّذِي يَخرُجُ مِن أَنفِ العَنز.

فِي الصَّفحَةِ الثَّامِنَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنَ الخُطبَةِ الثَّالِثَةِ وَالثَّلَاثِين: (**يُحَدِّثُنَا عَبدُ اللَّه بنُ عَبَّاس: دَخَلتُ عَلَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَلَيهِ السَّلَام بِذِي قَار** - حِينَما دَخَلَ أَمِيرُ المُؤمِنِين العِرَاق ذَهَبَ إِلَى ذِي قَار وَاستَقَرَّ هُنَاك قَبلَ أَن يَتَوَجَّهَ إِلَى البَصرَة - **وَهُوَ يَخصِفُ نَعلَهُ** - وَهُوَ يُصلِحُ نَعلَه - **فَقَالَ لِي** - الأَمِيرُ يَقُولُ لِابنِ عَبَّاس - **مَا**

قِيمَةُ هٰذَا النَّعل؟ فَقُلتُ: لَا قِيمَةَ لَهَا، فَقَالَ عَلَيهِ السَّلَام: وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن إِمرَتِكُم إِلَّا أَن أُقِيمَ حَقّاً أَو أَدفَعَ بَاطِلاً، ثُمَّ خَرَجَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَال) إِلَىٰ آخِرِ مَا جَاءَ من كَلَامِ أَمِيرِ المُؤمِنِين.

هٰذِه الصُّوَرُ تَعكِسُ لَنَا مَنهَجَ أَمِيرِ المُؤمِنِين فِي السِّيَاسَة، فَهُوَ فِي جِهَةٍ يُطَبِّقُ سِيَاسَةَ مُرِّ الحَقّ، وَفِي جِهَةٍ أُخرَىٰ يُطَبِّقُ سِيَاسَةَ الأَمرِ الوَاقِع.

فِي الصَّفحَةِ الثَّالِثَة وَالأَربَعِين بَعدَ المِئَتَين مِنَ الخُطبَةِ السَّادِسَة بَعدَ العَاشِرَة بَعدَ المِئَتَين: **(وَأَعظَمُ مَا افتَرَضَ سُبحَانَهُ من تلكَ الحُقُوقِ حَقُّ الوَالِي عَلَىٰ الرَّعِيَّة وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَىٰ الوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَىٰ كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلفَتِهِم - وَعِزّاً لِدِينِهِم، فَلَيسَت تَصلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الوُلَاة** - بِصَلَاحِ الحُكُومَة - **وَلَا تَصلُحُ الوُلَاةُ إِلَّا بِاستِقَامَةِ الرَّعِيَّة** - هُنَاكَ انسِجَامٌ فِيمَا بَينَ الحُكُومَةِ وَبَينَ جَمَاهِيرِهَا - **فَإِن أَدَّت الرَّعِيَّةُ إِلَى الوَالِي حَقَّه وَأَدَّىٰ الوَالِي إِلَيهَا حَقَّهَا عَزَّ الحَقُّ بَينَهُم وَقَامَت مَنَاهِجُ الدِّين وَاعتَدَلَت مَعَالِمُ العَدل وَجَرَت عَلَىٰ أَذلَالِهَا السُّنَن فَصَلَحَ بِذٰلِكَ الزَّمَان وَطُمِعَ فِي بَقَاء الدَّولَة** - النَّاس تُرِيد بَقَاءَ هٰذَا الحُكم - **وَيَئِسَت مَطَامِعُ الأَعدَاء** - حِينَ يَكُون هُنَاك تَوَافُقٌ بَينَ الحُكُومَةِ وَالشَّعب - **وَإِذَا غَلَبَت الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا أَو أَجحَفَ الوَالِي** - أَجحَفَ أَن ظَلَمَهُم - **بِرَعِيَّتِه اختَلَفَت هُنَالِكَ الكَلِمَة** - تَمَزَّقَ المُجتَمَع مَا بَينَ أَنصَارٍ لِلحُكُومَةِ لِأَنَّهُم مُنعَمُون، وَمَا بَينَ أَعدَاءٍ لِلحُكُومَةِ لِأَنَّهُم مَظلُومُون، وَهٰذَا هُوَ الَّذِي يَجرِي فِي وَاقِعِنَا الشِّيعِيّ؛ فِي إِيرَان فِي العِرَاق وَفِي لُبنَان وَفِي سَائِرِ المَنَاطِقِ الأُخرَىٰ، المُشكِلَة فِي المَنهَجِ القُطبِيِّ اللَّعِين - **وَظَهَرَت مَعَالِمُ الجَور وَكَثُرَ الإِدغَالُ فِي الدِّين** - الإِدغَالُ فِي الدِّين؛ التَّزيِيفُ وَالتَّضلِيلُ وَالتَّشوِيلُ - **وَتُرِكَت مَحَاجُّ السُّنَن** - المَحَاجُّ هِيَ الطُّرُقُ الوَاضِحَة - **فَعُمِلَ بِالهَوَىٰ وَعُطِّلَت الأَحكَام وَكَثُرَت عِلَلُ النُّفُوس، فَلَا يُستَوحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّل، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِل، فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبرَار وَتَعِزُّ الأَشرَار)** وَهٰذَا مَا يَجرِي بِالضَّبط فِي العِرَاق بِنَحوٍ يُطَابِقُ هٰذِه المَضَامِين بِدَرَجَةٍ مِئَة بِالمِئَة.

فِي الكَلِمَاتِ القَصِيرَةِ من كَلِمَاتِ أَمِيرِ المُؤمِنِين: **(وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيهِ السَّلَام؛ كَانَ جَالِساً فِي أَصحَابِه فَمَرَّت بِهِم امرَأَةٌ جَمِيلَة، فَرَمَقَهَا القَومُ بِأَبصَارِهِم، فَقَالَ عَلَيهِ السَّلَام: إِنَّ أَبصَارَ هٰذِه الفُحُولِ طَوَامِح** - بِاتِّجَاه المَرأَة الجَمِيلَة - **وَإِنَّ ذٰلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا** - شَهوَتُهَا الجِنسِيَّةُ المُتَأَجِّجَة - **فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُم إِلَى امرَأَة تُعجِبُهُ فَلْيُلَامِس أَهلَه، فَإِنَّمَا هِيَ امرَأَةٌ كَامرَأَتِه، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الخَوَارِج: قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِراً مَا أَفقَهَه فَوَثَبَ القَومُ لِيَقتُلُوه، فَقَالَ عَلَيهِ السَّلَام: رُوَيداً رُوَيداً إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَو عَفوٌ عَن ذَنب)** سَبَّنِي بِإِمكَانِي أَن أَسُبَّهُ أَو أَن أَعفُوَ عَنه، أَينَ هٰذَا مِنَ الوَاقِعِ الشِّيعِيِّ اليَوم.

فِي الصَّفحَةِ الخَامِسَة وَالأَربَعِين بَعدَ المِئَتَين سَيِّدُ الأَوصِيَاء يَقُولُ مُخَاطِباً رَعِيَّتَهُ: **(فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِه الجَبَابِرَة، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي** - لَا تَخَافُوا مِنِّي - **بِمَا يُتَحَفَّظُ بِه عِندَ أَهلِ البَادِرَة** - أَهلُ البَادِرَةِ هُمُ الَّذِينَ يَغضَبُونَ سَرِيعاً - **وَلَا تُخَالِطُونِي بِالمُصَانَعَة** - لَا تُجَامِلُونِي قُولُوا الحَقّ - **وَلَا تَظُنُّوا بِي استِثقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي** - هٰذِه سِيَاسَةُ مُرِّ الحَقّ - **وَلَا التِمَاسَ إِعظَامٍ لِنَفسِي** - فَأَنَا لَا أُرِيدُ أَن أُعَظَّمَ من قِبَلِكُم، لَستُ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ هٰذَا التَّعظِيم - **فَإِنَّهُ مَن استَثقَلَ الحَقَّ أَن يُقَالَ لَهُ أَو العَدلَ أَن يُعرَضَ عَلَيه كَانَ العَمَلُ بِهِمَا أَثقَلَ عَلَيه فَلَا تَكُفُّوا عَن مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَو مَشُورَةٍ بِعَدل).**

(الكَافِي الشَّرِيف) لِلكُلَينِي: **(ثُمَّ أَقبَلَ بِوَجهِه** - أَمِيرُ المُؤمِنِين - **وَحَولَهُ نَاسٌ من أَهلِ بَيتِه وَخَاصَّتِه وَشِيعَتِه، فَقَال: قَد عَمِلَت الوُلَاةُ قَبلِي أَعمَالاً** - يُشِيرُ إِلَىٰ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمَان - **خَالَفُوا فِيهَا رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِه مُتَعَمِّدِينَ لِخِلَافِه نَاقِضِينَ لِعَهدِه مُغَيِّرِينَ لِسُنَّتِه، وَلَو حَمَلتُ النَّاسَ عَلَى تَركِهَا وَحَوَّلتُهَا إِلَى مَوَاضِعِهَا وَإِلَى مَا كَانَت فِي عَهدِ رَسُولِ اللَّه لَتَفَرَّقَ عَنِّي جُندِي حَتَّى أَبقَى وَحدِي** - هٰذِه سِيَاسَةُ الوَاقِع - **أَو قَلِيلٌ من شِيعَتِي الَّذِينَ عَرِفُوا فَضلِي وَفَرضَ إِمَامَتِي من كِتَابِ اللَّه عَزَّ وَجَلّ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّه، وَحَمَلتُ النَّاسَ عَلَىٰ حُكمِ القُرآن** - لِأَنَّ أَبَا بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمَان مَا كَانُوا يَحكُمُونَ بِحُكمِ القُرآن - **وَعَلَى الطَّلَاقِ عَلَىٰ السُّنَّة** - لِأَنَّ القَومَ لَا يُطَلِّقُونَ عَلَىٰ السُّنَّة، وَإِلَىٰ الآنَ هٰكَذَا - **وَأَخَذتُ الصَّدَقَاتِ عَلَىٰ أَصنَافِهَا وَحُدُودِهَا، وَرَدَدتُ الوُضُوءَ وَالغُسلَ وَالصَّلَاةَ إِلَىٰ مَوَاقِيتِهَا وَشَرَائِعِهَا وَمَوَاضِعِهَا** - إِلَّا أَنَّ الإِمَامَ مَا فَعَلَ ذٰلِك، وَبَقُوا أَتبَاعُ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمَان عَلَىٰ ضَلَالِهِم، لِأَنَّ الوَاقِعَ لَم يَكُن مُسَاعِداً، وَيَضرِبُ الإِمَامُ مِثَالاً: **وَاللَّه لَقَد أَمَرتُ النَّاسَ أَن لَا يَجتَمِعُوا فِي شَهرِ رَمَضَانَ إِلَّا فِي فَرِيضَة** - الإِمَامُ يُشِيرُ إِلَى التَّرَاوِيح - **وَأَعلَمتُهُم أَنَّ اجتِمَاعَهُم فِي النَّوَافِلِ بِدعَة** - وَهٰذَا مَا يَقُولُهُ عُمَرُ وَالرِّوَايَةُ فِي صَحِيحِ البُخَارِيّ - **فَتَنَادَىٰ بَعضُ أَهلِ عَسكَرِي مِمَّن يُقَاتِلُ مَعِي؛ يَا أَهلَ الإِسلَام، غُيِّرَت سُنَّةُ عُمَر، يَنهَانَا عَنِ الصَّلَاةِ فِي شَهرِ رَمَضَانَ تَطَوُّعاً، وَلَقَد خِفتُ أَن يَثُورُوا فِي نَاحِيَةِ جَانِبِ عَسكَرِي، مَا لَقِيتُ من هٰذِه الأُمَّةِ مِنَ الفُرقَةِ وَطَاعَةِ أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّار)** وَلِذا تَرَكَهُم أَمِيرُ المُؤمِنِين وَعَمِلَ بِسِيَاسَةِ الوَاقِع.

الخُلَاصَةُ وَاضِحَةٌ، الخُلَاصَةُ وَاضِحَةٌ من أَنَّ السِّيَاسَةَ العَلَوِيَّةَ تَتَحَرَّكُ فِي اتِّجَاهَين؛

فِي اتِّجَاهِ سِيَاسَةِ مُرِّ الحَقّ، فِي الأَمَاكِنِ الَّتِي لَابُدَّ أَن تُطَبَّقَ فِيهَا سِيَاسَةُ مُرِّ الحَقّ، وَهُنَاكَ سِيَاسَةُ الوَاقِع، بِحَسَبِ الظُّرُوفِ المُؤَاتِيَة وَالظُّرُوفِ غَيرِ المُؤَاتِيَة، وَلَاحَظتُم اهتِمَامَ أَمِيرِ المُؤمِنِين بِرَعِيَّتِه، إِن كَانُوا مِنَ الخَوَارِجِ فَلَهُمُ الحُرِّيَّةُ الفِكرِيَّة، وَلَهُم حَقُّ بَيَانِ رَأيِهِم، إِلَى الحَدِّ الَّذِي سَبَّوا أَمِيرَ المُؤمِنِين، وَلٰكِنَّهُ عَفَا عَنهُم.